

صفات المنافقين في سورة التوبة

ماجستير تفسير وعلوم القرآن (دراسة قضية) هيكل (ج)

الطالب : نشأت عبد الغني عمارة

الرقم المرجعي : MTF103AG175

إشراف الأستاذ الدكتور : خالد نبوي سليمان حجاج

نائب الوكيل المساعد للشئون الأكاديمية للتعليم عن بعد

نائب رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه

جامعة المدينة العالمية

قسم تفسير وعلوم القرآن - كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية

العام الجامعي 2012 / 2013 م - 1433 / 1434 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه
أجمعين

النفاق هدفه تدمير المجتمع المسلم في غايته وأهدافه وكفي باسم هذه الخلة دناءة في المعنى
وثقلا علي اللسان وسوء وقع علي المسامع وهو شر الخصال وأبعدها عن رضا ذي الجلال
وهو مخالفة الباطن الظاهر وفي الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم يصف لنا المنافق بقوله
(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها
إذا اتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) رواه الشيخان .

لأن المنافق يظهر غير ما يبطن فهو كاذب بمظهره والمحدث بخلاف الواقع كاذب والمخلف
للوعد كاذب والخائن للأمانة كاذب والفاجر أيضا كاذب ولكن النفاق جامع للكذب كله
لأنه خيانة مستورة تتجدد كل يوم ويستمر فسادها حيناً من الدهر حتى يفضحها الله علي
رؤوس العالمين والمنافقون هم أشد خطراً من المشركين ووصل بهم الكيد في التآمر علي الإسلام
وإلقاء الفتنة بين صفوف المسلمين وشغلهم بشتي الفتن والدسائس والأكاذيب .

وفي هذا البحث سوف أتناول صفات المنافقين كما تحدثت عنها سورة التوبة وقد جمعت
هذه السورة من صفات المنافقين :

حب الدنيا - الجبن عن القتال - اختلاق المعاذير - الحلف كذبا - الاستهزاء والسخرية
بالمؤمنين - الإيذاء - الخوف من الفضيحة - المنافقون يوالي بعضهم بعضا - عدم الوفاء
بالعهد وسوف أتحدث عن هذه الصفات بشي من التوضيح من خلال المباحث

خطة البحث:

وقد تضمنت خطة البحث في هذا الموضوع

أهمية الموضوع وسبب اختيار الموضوع ومنهجي في البحث وتقسيمه وذلك علي النحو التالي

أهمية الموضوع : -

إن النفاق من أخطر المكائد التي تصيب الإنسان ويحاول في هدم أبنية الحق في عالمي الإنس والجن وتضل وتفسد ذوي الإرادات الحرة ويكفي النفاق في شره التدميري في جسم المجتمع المسلم أنه يحاول ضياع الغاية التي وجد الإنسان من أجلها وإن أخطر المصائب التي حلت بالمسلمين في تاريخهم المعاصر إنما حلت لهم عن طريق النفاق والمنافقين لذلك كان من الواجب التحذير من النفاق والمنافقين وبيان صفاتهم وكشف أعمالهم في هدم الإسلام وإفساد المسلمين لذلك اعتبر القرآن المنافق من أخبث الكفرة إذ جعل له الدرك الأسفل من النار (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) الآية 145 سورة النساء

سبب اختياري للموضوع :-

وقد دفعني إلي البحث في هذا الموضوع هو فضح المنافقين وما عليهم في المجتمع المسلم وكذلك وصف أحوالهم النفسية والعملية ومواقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها وكشف حقيقتهم وكذلك حيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف وكذلك تحذيرا لخلصاء المؤمنين من كيد المنافقين وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء ومن أخطر الأمراض النفاق التي يقع فيها المرء وعلامات النفاق وتعريفه وهذا لكي يحذر المرء من الوقوع فيه وتحذير المؤمنين من أعمال المنافقين .

منهجي في البحث :-

- 1- قسمت البحث إلي مقدمة ومباحث وخاتمه وفهارس .
- 2- جمع الآيات الكريمة التي تتحدث عن صفات المنافقين في سورة التوبة.

- 3- وضع صفات المنافقين تحت عناوين جانبية .
- 4- تخرّيج الأحاديث والنصوص والحكم عليها .
- 5- وضعت خاتمة للبحث تتضمن التحذير وما توصلت من نتائج .
- 6- قمت بعمل فهرس للبحث للآيات القرآنية والمصادر وموضوعات البحث.

تقسيم البحث : -

- يشتمل هذا البحث علي مقدمه وتمهيد وتسع مباحث كما يلي :
- المقدمة :- وتحدثت فيها عن أهميه الموضوع وسبب اختياري للموضوع ومنهجي في البحث .

المباحث وتشتمل علي المباحث التالية

المبحث الأول : حب الدنيا

المبحث الثاني : الجبن عن القتال

المبحث الثالث : اختلاق المعاذير

المبحث الرابع : الحلف كذبا

المبحث الخامس : الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين

المبحث السادس : الإيذاء

المبحث السابع : الخوف من الفضيحة

المبحث الثامن : المنافقون يوالي بعضهم بعضا

المبحث التاسع : عدم الوفاء بالعهد

التمهيد :-

وتحدثت فيه عن تعريف النفاق لغة واصطلاحاً :

قال الجرجاني : (النفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب)⁽¹⁾ هذا ما يعرف بالاصطلاح .

قال بن منظور (وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعني المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وان كان أصله في اللغة معروف .⁽²⁾

قال الزبيدي :- (ونقل الصاغاني عن بن الأنباري في الاعتلال لتسميه المنافق منافقا ثلاثة أقوال :

- 1- انه سمي به لأنه يستر كفره ويغيب فشبه بالذي يدخل النفق وهو السرب يستتر فيه .
- 2- انه نفاق كاليربوع فشبه به لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه .
- 3- انه سمي به لإظهاره غير ما يضمّر تشبه باليربوع فكذلك المنافق ظاهره إيمانه وباطنه كفر .⁽³⁾

صفات المنافقين في صوره التوبة :

عرفت سوره التوبة بعده أسماء منها

اسمها سوره (التوبة) ، (برائه) وكذلك

الفاضحة : لحديثها المستفيض عن المنافقين وصفاتهم وأحوالهم لأنها فضحت المنافقين

علي رؤوس الأشهاد

(1) الجرجاني التعريفات - ط الدار التونسية للنشر تونس 1971 م (ص127)

(2) بن منظور لسان العرب ماده (نفق) - ط دار احياء التراث العربي ومؤسسه التاريخ الاسلامي بيروت 1413هـ - 1993م

(3) الزبيدي تاج العروس 1994م ماده (نفق)

اخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سور التوبة قال التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم من يفعل كذا ومنهم من يفعل كذا حتي ظنوا أنها لم تبقي احد منهم إلي ذكر في هذه السورة فسميت الفاضحة لذلك (4)⁴

المنقرة : لأنها أظهرت ما في قلوب المنافقين والمشركين للناس

المبعثرة : لأنها بعثت أسرار المنافقين وبينتها وعرفتها للمؤمنين

المثيرة: لأنها أثارت مثالبهم وعوراتهم وأخرجتها من الخفاء إلي الظهور

البحوث : لأنها تبحث عن أعمال المنافقين وورد هذا الاسم عن أبي أيوب الأنصاري

الحافرة : لأنها تحفر قلوب أهل النفاق كقوله تعالى (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

110 وقولة تعالى (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ) 77

ثم تحدثت الآيات في سورة التوبة في سورة التوبة عن المنافقين وكان ذلك في غزوة تبوك وكانت هذه الغزوة في شهر رجب من السنة التاسعة من الهجرة وهي آخر غزوه لرسول الله صلي الله عليه وسلم وسبب الغزوة أن الرسول قد بلغه أن الروم قد جمعوا له جموع كثيرة علي أطراف الشام ويريدون مهاجمة المدينة فاستنفر الرسول صلي الله عليه وسلم الناس إلي قتال الروم وقد صرح الرسول للمسلمين بوجهته لقتال الروم ولي المؤمنين دعوه رسول الله صلي الله عليه وسلم لقتال الروم ولم يتخلف عنه إلا المنافقون وكثير من الأعراب فقد تخلفوا عنه وحرصوا غيرهم علي ذلك وحكت السورة في كثير من الآيات ما كان منهم من جبن ومن تحذير الناس عن القتال ومن تحريض لهم عن القعود وعدم الخروج .

4 (البخاري الصحيح - ط دار الفكر بيروت 1414هـ - 1994م

المبحث الأول

حب الدنيا

المبحث الأول

حب الدنيا

- الآية : قال الله تعالى (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) الآية (42)

معاني المفردات :

عرضاً العرض ما يعرض للإنسان من منافع الدنيا وشهواتها .⁽⁵⁾

(وسفراً قاصداً) هو السفر السهل القريب⁽⁶⁾

(بعدت عليه الشقة) أي بعدت عليهم الغاية وهي المسافة التي لا تقطع إلا بعد تكبد المشقة والتعب وهي مأخوذة من المشقة والعناء.⁽⁷⁾

• التفسير :

لو كان الأمر أمر عرض قريب من إعراض هذه الأرض وأمر سفر قصير الأمد مأمون العاقبة لتبعوك ولكنها الشقة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب المنخوبة ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة وانه نموذج مكرور في البشرية ذلك الذي ترسمه تلك الكلمات الخالدة (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ)

فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الأفاق الكريمة . كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن الركب ويميلون إلي عرض تافه أو مطلب رخيص . كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان وفي كل مكان فما هي قلة عارضه إنما هي نموذج المعرور

5 (التفسير التحليلي 1 (ص 74) جامعه المدينة العالمية 2011م

6 (المصدر السابق

7 (المصدر السابق

وإنهم يعيشون علي حاشية الحياة وان خيل لهم إنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب واجتنبوا أداء الثمن الغالي فالثمن القليل لا يشتري سوي الثافه الرخيص⁽⁸⁾

والمنافقون فقد كبر عليهم الأمر ، وعظم فيهم الخطب ، وطفقوا ينتحلون الأعذار الواهية ، ويستأذنونه . صلى الله عليه وسلم . في القعود والتخلف فيأذن لهم ، فكان نزول هذه الآيات وما بعدها ؛ لبيان تلك الحال وأحكام تلك الوقائع . وهي لا تفهم إلا بمعرفة أسبابها ، كما كان يعرفها من وقعت منهم ومعهم وفيما بينهم . ومن حكمة الله تعالى في هذا الأسلوب أنه يضطر المؤمنين بعد ذلك العصر إلى البحث عن تاريخه ؛ ليستعينوا به على فهم ما تعبدهم الله تعالى به من الآيات فيعرفوا نشأة دينهم ، وسياسة ملتهم ، وصفة تكوين أمتهم ، ولا شيء أعون للأمم على حفظ حقيقتها كمعرفة تاريخها .

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك أي : لو كان ما استنفرتم له ، ودعوتهم إليه أيها الرسول عرضا - وهو ما يعرض للمرء من منفعة ومتاع ، مما لا ثبات له ولا بقاء - قريب المكان والمنال ، ليس في الوصول إليه كبير عناء ، وسفرا قاصدا ، أي : وسطا لا مشقة فيه ، ولا كلال لاتبعوك فيه وأسرعوا بالنفر إليه ؛ لأن حب المنافع المادية والرغبة فيها لاصقة بطبع الإنسان ، وناهيك بها إذا كانت سهلة المأخذ قريبة المنال ، وكان الراغب فيها من غير الموقنين بالآخرة وما فيها من الأجر العظيم للمجاهدين كأولئك المنافقين ولكن بعدت عليهم المشقة التي دعوا إليها وهي تبوك - والمشقة : الناحية أو المسافة والطريق التي لا تقطع إلا بتكبد المشقة والتعب - وكبر عليهم التعرض لقتال الروم في ديار ملكهم وهم أكبر دول الأرض الحربية ، فتخلفوا جبنا وحبا بالراحة والسلامة⁽¹⁾

⁸ (سيد قطب في ظلال القرآن دار الشروق بيروت 1400هـ - 1980م (1661/3 - 1662)

ولو يعلم أحدهم أنه يجد عظماً ثميناً أو مرماتين (2) حسنتين لشهد العشاء يقول لو علم أحدهم انه يجد شيء حاضراً معجلاً يأخذه لأتي المسجد من أجله (ولكن بعدت عليهم الشقة)

حكى أبو عبيده وغيره أن الشقة السفر إلى أرض بعيده يقال : منه شُقه شاقه والمراد بذلك كله غزوه تبوك وحكي الكسائي انه يقال شُقه وشقه .

قال الجوهري : الشُقة بالضم من الثياب ، والشقة أيضا السفر البعيد وربما قالوه بالكسر . والشقة شظية تشظى من لوح أو خشبة . يقال للغضبان : احتد فطارت منه شقه بالكسر (3)

(1) تفسير المنار الهيئة المصرية للكتاب (ص 401)

(2) ظلف الشاه او ما بين ظلفها من اللحم

(3) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ط - دار الكتاب العربي بيروت 1423هـ - 2003م (8 / 140)

وَسِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (1)

فهو الكذب المصاحب للضعف أبداً وما يكذب إلا الضعفاء . ما يكذب إلا ضعيف ولو بدا في صورة الأقوياء الجبارين في بعض الأحيان فالقوي يواجهه و الضعيف يداور وما تتخلف هذه القاعدة في موقف من المواقف و لا يوم من الأيام لأنهم سيحلفون لكم معتذرين (2) بأعذار كاذبة لوقدرنا علي الخروج معكم لو تأخرنا ولوكان لنا سعة في المال أو القوة في الأبدان لخرجنا للجهاد معكم

(يهلكون أنفسهم) بهذا الحلف و بهذا الكذب الذي يخيل إليهم أنه سبيل النجاة عند الناس والله يعلم الحق ويكشفه للناس فيهلك الكاذب في الدنيا بكذبه ويهلك في الآخرة يوم لا يجدي النكرات لأنهم يستطيعون الخروج ولكن حب الدنيا دفعهم للبقاء وعدم الخروج

(1) سورة التوبة الآية 42

(2) هذا إخبار بغيب أي سيحلفون عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين بهذه الأيمان الكاذبة وقد حصل كما أخبر القران فكان ذلك من أوضح المعجزات القرآنية - صفوة التفاسير - دار القران الكريم - بيروت - لبنان ط6 - 1405 هـ - 1985 م

المبحث الثاني

الجبن عن القتال

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ. لَا يَسْتَأْذِنُكَ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا
يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَلَوْ
أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ (1)

بعد أن تحدث الله عن المنافقين الذين تخلفوا في غزوة تبوك عاتب الله نبيه صلى الله عليه
وسلم عتاباً رقيقاً لأنه أذن للمنافقين بالتخلف عن الجهاد حين طلبوا منه ذلك دون أن
يتبين أحوالهم فقال (عفا الله عنك)

المفردات :

(عفا الله عنك) العفو يطلق عن التجاوز عن الذنب أو التقصير في الفعل المكلف به
كما يطلق على ترك المؤاخذة علي عدم فعل الأولى و الأفضل وهو المراد هنا . إذا المراد
بالعفو يطلق على ترك المؤاخذة علي عدم فعل الأولى و الأفضل

(يترددون) المراد بالتردد التحير فالمتردد لا يستقر في مكان و لا يثبت علي حال (2)

التفسير :

(عفا الله عنك لما أذنت لهم) أي لأي سبب أذنت لهؤلاء الحالفين المتخلفين بالتخلف
عن الجهاد معك حين استأذنوا فيه معتذرين بأعذار كاذبة بعدم الاستطاعة وهذا عتاب
لطيف من اللطيف الخبير سبحانه حببته صلى الله عليه وسلم وكان الأولى بك أن تترث
وتتأني في السماح لهم بالتخلف وانجلاء الأمر وانكشاف الحال المشار إليه بقوله سبحانه
(حتى يتبين لك الذين صدقوا) أي فيما أخبروا به عند الاعتذار لعدم الاستطاعة وقد
كانوا قليلاً منهم كاذبين في معاذيرهم (وتعلم الكاذبين) في ذلك الأمر (3) لأنهم كانوا
مصرين عن القعود عن الجهاد حتى ولو لم تأذن لهم به .

وعن قتادة في قوله تعالى (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء فقال (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ)⁽⁴⁾ الآية 62 فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك⁽⁵⁾

(1) سورة التوبة الآية 43-46

(2) التفسير التحليلي (1) جامعة المدينة العالمية 1432هـ - 2011م

(3) الآلوسي روح المعاني 1985م (107/10)

(4) سورة النور - الآية 62

(5) ابن جرير الطبري جامع البيان 1995م (183/10)

و من اللطائف الموجودة في الآية

قدم سبحانه العفو على العتاب في قوله (عفا الله عنك لما أذنت لهم) وذلك للإشارة
لمكانته صلى الله عليه وسلم عند ربه قال بعض العلماء : هل سمعتم بعقاب أحسن من
هذا لقد خاطبه سبحانه بالعفو قبل أن يذكر المعفو عنه ؟

وهنا يستفاد من ذلك

- 1- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحكم بمقتضى اجتهاده في بعض الأحيان فيما لا
نص فيه وهذا لا ينافي عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما العصمة المنفق
عليها خاصة بتبليغ الوحي وبيانه و العمل به فيستحيل علي الرسول أن يكذب أو
يخطئ لما يبلغه عن ربه أو يخالفه بالعمل فيجوز الخطأ في اجتهاد الأنبياء لكن الله
تعالى لا يقرهم علي ذلك بل يبين لهم الصواب فيه
- 2- من المعاني المستفادة أن من الواجب علي المسلم التريث في الحكم على الأمور
- 3- المراد بالعفو في قوله تعالى (عفا الله عنك) عدم مؤاخذته صلى الله عليه وسلم في
ترك الأولي والأفضل (1)

(لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) الآية (44)

هذا إعلان من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن المنافقين من علاماتهم التي يعرفون
بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله في تركهم الخروج معه إذا
استنفروا بالمعاذير الكاذبة

(1) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432هـ - 2011م

يقول جل ثناؤه لنبية صلى الله عليه وسلم يا محمد لا تأذن في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنتك في التخلف فإنه لا يستأذنتك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فأما الذي يصدق بالله و يقر بالوحدانية و البعث وبالدار الآخرة و الثواب والعقاب فإنه لا يستأذنتك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه (1) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. الآية (45)

(إنما يستأذنتك) أي في التخلف و القعود عن الجهاد (الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر) تخصيص الإيمان بهما في الموضوعين للإيذان بأن الباعث على الجهاد والمانع عنه الإيمان بهما وعدم الإيمان بهما فمن آمن بهما قاتل في سبيل دينه و توحيده وهان عليه القتل فيه لما يرجوه في اليوم الآخر من النعيم المقيم ومن لم يؤمن بمعزل عن ذلك على أن الإيمان بهما مستلزم للإيمان بسائر ما يجب الإيمان به (وارتابت قلوبهم) أي شكت في صحة ما جئتهم به (فهم في ريبهم يترددون) أي يقصرون يقدمون رجلا و يؤخرون أخرى و ليست لهم قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) (2) والطريق إلى الله واضحة مستقيمة (3)

ويستفاد من ذلك أنه ينبغي على المؤمن أن يقوم بأداء الأعمال الحسنة والأفعال الجميلة بدون تردد أو استئذان وأن المؤمن الصادق هو الذي لا يستأذن في القعود والتخلف عن الجهاد .

المفردات :

(انبعاثهم) أي نهوضهم وانطلاقهم للخروج بنشاط وهمة مأخوذ من البعث وهو إثارة الإنسان أو الحيوانات وتوجيهه إلى الشيء بقوة وخفة

(فثبطهم) أي فمنعهم وحبسهم من التشيط وهو رد الإنسان عن الفعل الذي هم به عن طريق تعويقه عنه ومنعه منه

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين)
أي لو أرادوا الجهاد لتأهبوا أهبة السفر فتركهم الاستعداد دليل على

(1) ابن جرير الطبري - جامع البيان 1995 م (184/10)

(2) النساء (143)

(3) بن كثير - تفسير القرآن العظيم 1415 هـ - 1994 م (774/2)

إرادتهم التخلف وقد كان فيهم عبدالله بن أبي سلول وكان فيهم الجدي بن قيس وكانوا

أشرافاً في قومهم أثرياء و لأن الله تعالى كره خروجهم معك فحبسهم عنه كما يعلمه

سبحانه من نفاقهم وقبح نواياهم وإشاعتهم للسوء في صفوف المؤمنين (فثبطهم وقيل اعدوا

مع القاعدين) تذييل المقصود ذمهم ووصفهم بالجن الخلع والهمة الساقطة لأنهم بقعودهم

هذا سيكونون مع النساء والصبيان والمرضى والمستضعفين الذين لا قدرة لهم على خوض

المعارك والحروب (1) .

(1) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (80 ، 81)

المبحث الثالث

الإيداء

جعلت هذا المبحث هو الثالث نظراً لتسلسل الآيات وارتباطها مع بعضها في المعنى قال الله تعالى :

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ
أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهِونَ (48)

المفردات :

(يبغونكم الفتنة) الفتنة كل ما يؤدي إلى ضعف المسلمين في دينهم أو في دنياهم ، وقوله (وفيكم سماعون لهم) أي مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم ، قوله (وقلبوا لك الأمور) تقلب الأمر : تصريفه وترديده وإحالة الرأي فيه والنظر إليه من كل نواحيه لمعرفة الناحية التي توصل إلى الهدف المنشود (1) ، (الخبال) : الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف (2)

التفسير :

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) بخروجهم معكم إلى تبوك ما زادوكم شيئاً من الأشياء إلا اضطراباً في الرأي وفساداً في العمل وضعفاً في القتال والاستثناء متصل لأن المعنى ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً (ولأوضعو خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين والافتنان في الدين والتشكيك في صحة عقائدكم ونشر الفرقة في صفوفكم وفيكم في ذلك الوقت يا معشر المؤمنين أناس كثير والسماع لهؤلاء المنافقين سريعي الطاعة لما يلقون إليهم من أباطيل والله تعالى لا تخفى عليه خافية من أحوال هؤلاء الظالمين وسيعاقبهم بالعقاب المناسب لجرائمهم ورتائلهم (والله عليم بالظالمين) والظالمون هنا أي المشركون فقد ضمهم كذلك إلى زمرة المشركين (3) لقد ابتغوا هؤلاء المنافقون إيقاع الشرور والمفاسد في

صفوف المسلمين من قبل ما حدث منهم في غزوة تبوك ومن مظاهر ذلك أنهم ساءهم
انتصاركم في غزوة بد وامتنعوا عن مناصرتكم في غزوة أحد متبعين في ذلك زعيمهم عبد الله بن
أبي سلول ثم واصلوا حربهم لكم سراً وجهاً حتى كانت غزوة تبوك التي فضح الله فيها أحوالهم

-
- (1) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (80)
 - (2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي 1423 هـ - 2003 م (142/8)
 - (3) سيد قطب - في ظلال القرآن - دار الشروق 1400 هـ - 1980 م (1663/3)

والمراد بقوله (من قبل) أي : من قبل هذه الغزوة التي كانت آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أن ما صدر عن هؤلاء المنافقين من مسالك خبيثة خلال غزوة تبوك ليس هو الأول من نوعه بل لهم في هذا المضمار تاريخ مغزي بدأ من أوائل عهد الدعوة الإسلامية في المدينة فهم استعملوا قصار جهدهم ومنتهى اجتهاداتهم وخلاصة مكرهم من أجل صد الناس عن الحق الذي جاء به الرسول هؤلاء المنافقون استمروا على حربهم للدعوة الإسلامية حتى جاء النصر الذي وعد الله عباده به وظهر دين الله وشرعه والمنافقون وأشباههم كارهون لذلك لأنهم يكرهون انتصار دين الإسلام ويجنون هزيمته وخذلانه ولكن الله تعالى خيب آمالهم وأحبط مكرهم (1)

عن قتادة في قوله تعالى (لأوضعوا خلالكم) يقول لأسرعوا (خلالكم) بينكم (يبتغونكم الفتنة) بذلك (2) وإسناد الخبر صحيح (3)

(1) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (81 ، 82)

(2) صفات المنافقين في سورة التوبة د/ غسان عبدالسلام حمدون .. شبكة الإنترنت

(3) سند الخبر : حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قد مر في تبيان الصفة الأولى أن السند صحيح وهنالك تحقيقه

ومما يدل علي أنهم يدبروا المكائد لإيذاء المسلمين نجد القرآن يتحدث فيقول الآية وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيُحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) (1)

قال ابن كثير في التفسير :سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول
الله صلي الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصر في
الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم
رسول الله صلي الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام
كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبرز بالعداوة وظاهر بها وخرج
فارا إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم علي حرب رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان
وامتنعهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين
الصفين فوق في إحداهن رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصيب في ذلك اليوم فجرح وجهه
وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه وتقدم أبو عامر في أول
المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلي نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا
:لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول :والله لقد
أصاب قومي بعدي شر

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد دعاه إلي الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبي أن
يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يموت بعيدا طريدا فنالتة هذه الدعوة
(2)

(1) سورة التوبة ، الآية (107)

(2) التفسير التحليلي 1 - 1432 هـ 2011 م (148)

المبحث الرابع

اختلاق المعاذير

اختلاق المعاذير

الآيات :

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)

(49) إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَلَّوْا

وَهُمْ فَرِحُونَ (50) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ

اللَّهُ بَعْدَآبٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ (52) (1)

المفردات :

(ترَبَّصون) من التربص بمعنى الانتظار في تمهل (الحسنين) مثل الحسنى والمراد بهما النصر

أو الشهادة (2) نزلت هذه الآيات قال محمد بن إسحاق عن الزهري ويزيد بن روحان

وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في

جهازه أي لغزوة تبوك للجد بن قيس أخي بني سلمه : هل لك أحدٌ في جلاذ بني الأصفر

يعني الروم . فقال الجد بن قيس يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما

رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن فأعرض

عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك) ففي الجد بن قيس هذه الآية

التفسير :

من هؤلاء المنافقين الذي لم ينته الحديث عنهم بعد من يقول لك أيها الرسول ائذن لي في

العودة ولا توقعني في المعصية والإثم بسبب خروجي معك إلى تبوك ومشاهدي لنساء بني

الأصفر ثم رد الله عليهم بقوله (ألا في الفتنة سقطوا) أي ألا إن هذا وأمثاله في ذات الفتنة

قد سقطوا لا في شيء آخر مغاير لها وإن جهنم لمحيطة بهؤلاء الكافرين بما جاء من عند

الله دون أن يكون لهم منها مهرب أو مفر وإن تصبك أيها الرسول حسنة من نصر أو نعمة
أو غنيمة كما حدث يوم بدر تسؤهم تلك الحسنة وتورثهم حزناً وغمماً بسبب شدة عداوتهم
لك ولأصحابك وإن تصبك مصيبة من هزيمة أو شدة كما حدث يوم أُحد يقول باحتيال
وعجب وشماتة

(1) التوبة : الآية (49 - 52)

(2) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (83)

قد تلقينا ما يهمنا من الأمر بالحزم واليقظ من قبل وقوع المصيبة التي حلت

بالمسلمين ولم نلقِ بأيدينا إلى التهلكة كما فعل هؤلاء المسلمين وينصرف هؤلاء

المنافقون إلى أهلهم وشيعتهم والفرح يملئ جوارحهم فيبشروهم بما نزل بالمسلمين

من مكروه قل لهؤلاء المنافقين : أيها الرسول على سبيل التقرير والتبكييت : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا وقدره علينا ، قل أيها الرسول لهؤلاء المنافقين أيضاً إنكم ما تنتظرون إلا إحدى العاقبتين التي كل واحدة منهما أحسن من جميع العواقب وهما إما النصر على الأعداء وفي ذلك الأجر والمغنم والسلامة وإما أن نقتل بأيديهم وفي ذلك الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل منهما عاقبته الحسنى لا كما تزعمون من أن ما يصيبنا من القتل في الغزو سوء ولذلك سررتم به ونحن معشر المؤمنين نترصد بكم أيها المنافقون إحدى السوءين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب كائن من عنده فيهلككم كما أهلك الذين من قبلكم⁽¹⁾ ولقد كان بعض هؤلاء المعتذرين المتخلفين المتربصين قد عرض ماله وهو يعتذر عن الجهاد ذلك ليمسك العصا من الوسط على طريقة المنافقين في كل زمان ومكان فرد الله عليهم مناورتهم وكلف رسوله أن يعلن أن إنفاقهم غير مقبول عند الله لأنهم إنما ينفقونه عن رياء وخوف لا عن إيمان وثقة وسواء بذلوه عن رضا منهم بوصفه ذريعة يخدعون بها المسلمين أو عن كره خوفاً من انكشاف فهو في الحاليتين مردود لا ثواب له ولا يحسب لهم عند الله⁽²⁾

(1) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (84 ، 85)

(2) سيد قطب - في ظلال القرآن - ط دار الشروق القاهرة 1400 هـ - 1980 م (1665/3)

المبحث الخامس

الحلف كذباً

الحلف كذباً

الآية :

وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُم مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ
مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57)⁽¹⁾

المفردات :

(يَفْرُقُونَ) من الفرق بمعنى الفرع الشديد من أمر يتوقع حصوله

(ملجأ) الملجأ : اسم للمكان الذي يلجأ إليه الخائن ليحتمي به سواء أكان حصناً أو قلعةً
أو غيرها

(مغارات) جمع مغارة وهي المكان المنخفض في الأرض أو في الجبل وقوله (يجمحون) أي
يسرعون

التفسير :

إن هؤلاء المنافقين يحلفون بالله لكم أيها المؤمنون إنهم لمنكم في الدين والملة والحق أنهم ما هم
منكم لأنهم يظهرون الإسلام ويخفون الكفر فهم كما وصفهم سبحانه في قوله :

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
(2) (2)

هم يحلفون بالله كذباً و زوراً إنهم لمنكم والحق أنهم ما هم منكم لكنهم قوم جنباء لا
يستطيعون مصارحتكم بالعداوة هؤلاء المنافقون لو يجدون حصناً يلتجئون إليه أو مغارات
يختفون فيها أو سرداباً في الأرض يتحجرون فيه لأقبلوا نحوه مسرعين أشد الإسراع دون أن
يردهم شيء⁽³⁾

والمراد من الآية تنبيه المؤمنين إلى أن المنافقين لو قدروا على الهروب منهم ولو في شر الأمكنة وأخسها لفعّلوا لشدة بغضهم لكم فلا تغتروا بأيماهم الكاذبة أنهم معكم ومنكم⁽⁴⁾

(1) المؤمنون (56 - 57)

(2) المنافقون (1 - 2)

(3) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (91)

(4) صفوة التفاسير - دار القرآن الكريم - بيروت ، لبنان 1405 هـ - 1985 م

كما تحدثت الآيات أيضاً في : يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ
كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ
الْحَزْبُ الْعَظِيمُ (63)⁽¹⁾

قال القرطبي روي أن قوماً من المنافقين اجتمعوا وفيهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن
قيس فحقره وتكلموا فقالوا : إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير فغضب
الغلام وقال والله إن ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم لحق ولأنتم أشر من الحمير ، ثم أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم فحلفوا أن عامر كاذب فقال عامر هم الكذبة وحلف على
ذلك وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب ومن هنا نزلت هذه
الآية لأن هؤلاء المنافقون يحلفون بالله لكم ليرضوكم والحال هنا أن الله ورسوله أحق بالإرضاء
منكم لأن الله تعالى هو خالقهم ورازقهم ومالك أمرهم وهو العليم بما ظهر وبطن من أحوالهم
ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبلغ لوجه عز وجل إن كان هؤلاء مؤمنين حقاً
فليعملوا على إرضاء الله ورسوله بأن يطيعوا وأمرهما ويجتنبوا ما نهى عنه وإلا كانوا كاذبين في
دعواهم ألم يعلم هؤلاء المنافقين الذين مَرَدُوا عَلَى الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ أَنَّهُ مَنْ يَخَالَفُ تَعَالِيمَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَجَزَاؤُهُ نَارُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَالِدًا فِيهَا إِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ
الْغُرُضِ فَأَعْلِمَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ سَوْءَ مَصِيرِهِمْ إِذَا مَا اسْتَمَرُوا عَلَى نِفَاقِهِمْ وَمَعَادَاتِهِمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
(2) وَإِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فِيحْلِفُونَ لَهُمْ لِيَرْضَوْهُمْ وَلِيَنْفُوا مَا بَلَّغَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ لَا يَخْشَوْنَ
خالق العباد وهم يؤذون فكأنما يحاربون الله تعالى : تعال الله أن يقصده أحدٌ بحرب ، إنما هو
تفطيع ما يرتكبون من إثم وتجسيم ما يقارفون من خطيئة وتخويف من أن يؤذون رسول الله
ويكيدون لدينه في الخفاء وإنهم لأجبن من أن يواجهوا الرسول صلى الله عليه وسلم والذين
معه وإنهم ليخشون أن يكشف الله سترهم وأن يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على
نواياهم .

المبحث السادس

الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين

الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين

الآية :

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ
(58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا
إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59) (1)

ذكر المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات منها : ما أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال (بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم قسماً إذ جاءه حُرْقُوص بن زهير أصل الخوارج ويقال له ذو الخويصرة التميمي (2) فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدهم صلواته مع صلواته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيته فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم منهم رجل أسود في إحدى يديه أو قال إحدى ثديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فترة من الناس فنزلت فيهم (ومنهم من يلمزك في الصدقات) (3)

ومن المنفقين من يغمزك بالقول ويعيب عدالتك في توزيع الصدقات ويدعي أنك تحابي في قسمتها وهم لا يقولون ذلك غضباً للعدل ولا حماسة للحق ولا غيره على الدين إنما يقولونه لحساب ذواتهم وأطماعهم وحماسة لمنفعتهم وأنايتهم ، وقوله (ومنهم من يلمزك في الصدقات) يقول ومنهم من يطعن عليك في الصدقات

عن قتادة الحسن : يعيبك وقال مجاهد أي يروؤك⁽⁴⁾ ويسألك : النحاس : والقول عند أهل اللغة قول قتادة والحسن ، يقال : لمزة يلمزه إذا عابه واللمز في اللغة العيب في السر ، قال الجوهري : اللمز العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها وقد لمزه يلمزه ويلمزه وفريئ بهما (ومنهم من يلمزك في الصدقات) ورجل لماز ولمزه أي عياب ويقال أيضاً : لمزه يلمزه إذا دفعه وضربه والهمز مثل اللمز والهامز والهماز العياب والهُمَزَة مثله يقال رجل هُمَزَةٌ وامرأة هُمَزَةٌ أيضاً وهَمَزَةٌ أي دفعه وضربه ثم قيل اللمز في الوجه والهمز بظهر الغيب وصف الله قوماً من المنافقين بأنهم

(1) التوبة (58-59)

(2) القرطبي - دار الكتاب العربي . بيروت 1423 هـ - 2003 م (151/8)

(3) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ 2011 م (93 - 94)

(4) الروز : أي الامتحان والتقدير

عابوا النبي صلى الله عليه وسلم في تفريق الصدقات وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم (1) والنص القرآني يقرر أن القولة قولة فريقٍ من المنافقين يقولونها لا غيراً ولكن غضباً على حظ أنفسهم وغيضاً أن لم يكن لهم نصيبٌ وهي آية نفاقهم الصريحة فما يشكُّ في خلق الرسول صلى الله عليه وسلم مؤمناً بهذا الدين وهو المعروف حتى قبل الرسالة بأنه الصادق الأمين والعدل فرغ من أماناتِ الله التي ناطها بالمؤمنين فضلاً على نبي المؤمنين وهذه النصوص تحكي وقائع وظواهر وقعت من قبل ولكنها تتحدث عنها في ثنايا الغزوة لتصوير أحوال المنافقين الدائمة المتصلة قبل الغزوة وفي ثناياها (2) ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يلمزونك ويعيبونك أيها الرسول في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من العطاء وقالوا على سبيل الشكر والقناعة : حسبنا الله أي كفانا فضله وما قسمه لنا سيعطينا الله في المستقبل الكثير من فضله وإحسانه وسيعطينا رسوله صلى الله عليه وسلم من الصدقات وغيرها (3)

(وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59))

فهذا هو أدب النفس وأدب اللسان وأدب الإيمان : الرضا بقسمة الله ورسوله رضا التسليم والافتناع لا رضا القهر والتغلب والافتناء بالله والله كافٍ عبده والرجاء في فضل الله ورسوله والرغبة في الله خالصة من كل كسب مادي ومن كل طمع دنيوي ذلك أدب الإيمان الصحيح الذي يتضح به قلب المؤمن وإن كانت لا تعرفه قلوب المنافقين الذين لم تحالط بشاشة الإيمان أرواحهم ولم يشرق في قلوبهم نور اليقين (4)

(1) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي . بيروت 1423 هـ - 2003 م (150/8)

(2) سيد قطب - في ظلال القرآن - دار الشروق . بيروت (1400 هـ - 1980 م)

(3) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (94-95)

(4) سيد قطب - في ظلال القرآن - دار الشروق . بيروت (1400 هـ - 1980 م)

وقد ذكرت الآيات سخرتهم واستهزائهم بالقرآن في الآية :

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا
وَهُمْ كَافِرُونَ (125) (1)

(وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا)

وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول أي يقول بعضهم لبعض
:أيكم زادته هذه أي السورة إيماناً أي تصديقاً وبقينا وإنما يقول ذلك المنافقون استهزاء
وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فأما الذين آمنوا
فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون .وأما الذين في قلوبهم مرض)أي شك ونفاق سمي الشك
في الدين مرض لأنه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالمريض في البدن إذا حصل يحتاج
إلى العلاج (فزادتهم) أي سورة من القرآن (رجسا إلي رجسهم)أي كفرا إلي كفرهم
وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الأول وسمي
الكفر رجسا لأنه أقبح الأشياء وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر وماتوا هؤلاء
المنافقين وهم كافرون وهم جاحدون كما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه
وسلم (2) وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا
صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127) (3)

تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لنصرف
فإننا لا نصبر علي استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو إذا ما أنزلت سورة
في عيب المنافقين أشار بعضهم إلي بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته عليه
الصلاة والسلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام

(1) سورة التوبة ، الآية (124-125)

(2) الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل 1317 هـ ، باختصار (مجمع التفاسير) (221/3)

(3) سورة التوبة ، الآية (127)

مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتي يتفقهوا (1) .

عن ابن عباس قال : لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة (2) والسند صحيح (3) .

(1) النسفي تفسير (151/2)

(2) ابن جرير الطبري جامع البيان 1995 م (100/11)

(3) جاء السند في تفسير ابن جرير جامع البيان . حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن ابن عباس

المبحث السابع

الخوف من الفضيحة

الخوف من الفضيحة

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَدِرُوا قَدَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)) (1)

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات منها ما جاء عن زيد بن أسلم أن الرجل من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلي الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد : قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه أي: إلي المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلي الله عليه وسلم أي : بجبل ناقة رسول الله تؤذبه الحجارة يقول إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له الرسول (أبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) (2)

وأهم كفروا عناداً وقال السدي : قال بعض المنافقين والله وددت لو أتي قدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فنزلت الآية (يحذر) أي يتحرز وقال الزجاج معناه ليحذر وقوله تعالي (أن تنزل عليهم)علي المؤمنين (سورة) في شأن المنافقين تخبرهم بمخازيهم ومساويهم ومثالبهم ولهذا سميت السورة الفاضحة والمثيرة والمبعثرة كما ذكر ذلك من قبل وقال الحسن كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته وقوله (قل استهزئوا) هذا أمر وعيد وتهديد (إن الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) ظهوره قال ابن عباس : أنزل الله أسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلا ثم نسخ تلك الأسماء من القرآن رافة منه ورحمة لأن أولادهم كانوا مسلمين والناس يعير بعضهم بعضا فعلى هذا قد أنجز الله وعده بإظهاره حيث قال (إن الله مخرج ما تحذرون) وقيل إخراج الله أنه عرف نبيه عليه السلام

أحوالهم وأسماءهم لا أنما نزلت في القرآن ولقد قال الله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) (3)
وهو نوع الهام وكان من المنافقين من يتردد ولا يقطع بتكذيب محمد عليه السلام ولا بصدقه
وكان فيهم من يعرف صدقه ويعاند

(1) التوبة (64 - 66)

(2) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (102 ، 103)

(3) محمد (30)

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) (65)
((

هذه الآية نزلت في غزوة تبوك ، قال الطبري وغيره عن قتادة بينما النبي صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا هذا يفتح قصور الشام ويأخذ حصون بني الأصفر فأطلعه الله سبحانه علي ما في قلوبهم وما يتحدثون به فقال (احبسوا على الركب ثم أتاهم فقال قلتم كذا وكذا) فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب يريدون كنا غير مجدين وقال القاضي أبو بكر بن العربي لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة فإن التحقيق أخو العلم والحق والهزل أخو الباطل والجهل قال العلماء (1) انظر إلى قوله تعالى :

(اَتَتْخَدُنَا هُزُؤًا قَالِ اَعُوذُ بِاللَّهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ) (2) .

قوله تعالى :

(لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ) (3)

(لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) علي جهة التوبيخ كأنه يقول لا تفعلوا ما لا ينفع ثم حكم عليهم بالكفر وعدم الاعتذار من الذنب .

(اِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِبْ طَائِفَةً بِاَئْتَمَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِيْنَ) (4)

قيل : كانوا ثلاثة نفر هزئ اثنان وضحك واحد فالمعفو عنه هو الذي ضحك ولم يتكلم والطائفة الجماعة ويقال للواحد على معنى نفس طائفة وقال بن الأنباري يطلق لفظ الجمع على الواحد كقولك خرج فلان على البغال قال ويجوز أن تكون الطائفة إذا أريد بها الواحد طائفاً واختلف في اسم هذا الرجل الذي عفي عنه على أقوال فقيل محشي بن حمير قاله ابن إسحاق وقال ابن هشام ويقال فيه بن محشي وقال خليفة بن خياط في تاريخه : اسمه محاشن

بن حمير وذكر بن عبد البر مخاشن الحميري وذكر السهيلي مخشن بن خمير وذكر جميعهم أنه
استشهد باليمامة وكان تاب وسمي

(1) القرطي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربية 1423 هـ - 2003 م (180/80 - 181)

(2) سورة البقرة (67)

(3) سورة التوبة (66)

(4) سورة التوبة (66)

عبد الرحمن فدعا الله أن يُقتل شهيدا ولا يعلم بقبره واختلف هل كان منافقا أو مسلما ف قيل
كان منافقا ثم تاب توبة نصوحا وقيل كان مسلما إلا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر
عليهم (1) .

(1) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي . بيروت 1423 هـ - 2003 م (8/182 - 183)

المبحث الثامن

المنافقون يوالي بعضهم بعضا

المنافقون يوالي بعضهم بعضا

الآيات :

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) (1)

المنافقون والمنافقات من طينة واحدة وطبيعة واحدة ، المنافقون في كل زمان وفي كل مكان
تختلف أفعالهم وأقوالهم ولكنها ترجع إلى طبع واحد وتنبع من معين واحد سوء الطوية ولؤم
السريرة والغمز والدس والضعف عن المواجهة والجن على المصارحة تلك سماتهم الأصلية أما
سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل بالمال إلا أن يبذلوه رياء الناس وهم
حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يستخفون بما يفعلون ذلك دساً وهمساً وغمزاً
ولماً لأنهم لا يجروون على الجهر إلا حين يأمنون

عن قتادة في قوله تعالى (يقبضون أيديهم) قال : يقبضون أيديهم عن الخبر (2) وسند الخبر
صحيح (3) .

إنهم (نسوا الله) فلا يحسبون إلا حساب الناس وحساب المصلحة ولا يخشون إلا الأقوياء
من الناس يذلون لهم ويدارونهم (فنسيهم) الله فلا وزن لهم ولا اعتبار وإنهم لكذلك في الدنيا
بين الناس وإنهم لكذلك في الآخرة عند الله وما يحسب الناس حساباً إلا للرجال الأقوياء
الصرحاء الذين يجهرون بأرائهم ويقفون خلف عقائدهم ويواجهون الدنيا بأفكارهم ويجارون
أو يسالمون في وضح النهار .

ومن صفات المنافقين أنهم تركوا طاعة الله وخشيته ومراقبته فتركهم سبحانه وحرّمهم من هدايته
ورحمته وفضله إن المنافقين هم الكاملون في الخروج عن طاعة الله وفي الإنسلاخ عن فضائل

الإيمان ومكارم الأخلاق منحرفون عن الطريق وقد وعدهم الله مصيراً كمصير الكفار (4)
لأنهم يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم
المفارقون طاعة الله الخارجون عن الإيمان به وبرسوله (5) .

(1) سورة التوبة ، الآية (67 - 68)

(2) عبدالرزاق الصنعاني - تفسير 1991م (1107 / 251/1)

(3) سند الخبر حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة والسند صحيح لأن رجاله ثقات ويظهر من رواية الكتاب أن الكتاب برواية

محمد بن عبدالسلام الخشبي عن سلمة بن شبيب - تفسير عبدالرزاق المقدمة (32/1)

(4) سيد قطب - في ظلال القرآن - دار الشروق . بيروت 1400 هـ - 1980 م

(5) بن جرير الطبري - جامع البيان (223/10)

وعد الله تعالى المنافقين والمنافقات والكفار المجاهدين بكفرهم نار جهنم خالدين فيها خلوداً
أبدياً وتلك العقوبة الشديدة كافية لإهانتهم وإذلالهم بسبب فسوقهم عن أمر ربهم وطردهم
الله وأبعدهم عن رحمته ولطفه ولهم عذاب دائم لا ينقطع فهم في الدنيا يعيشون في عذاب

القلق والحذر من أن يطمع المسلمون في نفقاتهم وفي الآخرة يذوقون العذاب الذي هو أشد وأبقى بسبب إصرارهم على الكفر والفسوق والعصيان (1) .

(1) التفسير التحليلي 1 - جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م (105 ، 106)

المبحث التاسع

عدم الوفاء بالعهد

عدم الوفاء بالعهد

الآيات :

" وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) " (1)

هذه نماذج المنافقين وجحودهم ونقضهم لعهودهم وبخلهم بما آتاهم الله من فضله . من المنافقين من عاهد الله لئن أنعم الله عليه ورزقه ليبدلن الصدقة وليصلحن العمل ولكن هذا العهد إنما كان في وقت فقره وعسرتة في زقت الرجاء والطمع فلما أن استجاب الله له ورزقه من فضله نسي عهده وتنكر لوعده وأدركه الشح والبخل فقبض يده وتولي معرضا عن الوفاء بما عاهد فكان هذا النكث بالعهد مع الكذب على الله فيه سبباً في التمكين للنفاق في قلبه والموت مع هذا النفاق ولقاء الله به .

قال قتادة: هذا رجل من الأنصار قال: لئن رزقني الله شيئاً لأؤدين فيه حقه ولأصدقن؛ فلما آتاه الله ذلك فعل ما نوص عليكم، فاحذروا الكذب فإنه يؤدي إلى الفجور. وروى علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري (فسماه) قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا. فقال عليه السلام (ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) ثم عاود ثانياً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تكون مثل نبي الله لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً لسارت) فقال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه. فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم؛ فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو⁽²⁾ الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، وترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمي حتى ترك الجمعة أيضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا ويح ثعلبة) ثلاثاً. ثم نزل (خذ من أموالهم صدقة) . فبعث صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة، وقال لهما: (مرا بنعلبة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذنا صدقاتهما) فأتيا ثعلبة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا. الحديث، وهو مشهور. وقيل: سبب غناء ثعلبة أنه ورث ابن عم له. قاله ابن

عبدالبر: قيل إن ثعلبة بن حاطب هو الذي نزل فيه (ومنهم من عاهد الله... الآية؛ إذ منع الزكاة، فالله أعلم. وما جاء فيمن شاهد بدرا يعارضه قوله تعالى في الآية (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) (3)

(1) سورة التوبة ، الآيات (75-76-77)

(2) وقع في الأصل (تنمي) والمثبت مستدرک من كتب الحديث

(3) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ط دار الكتاب العربية . بيروت 1423 هـ - 2003 م (191/8)

قلت: وذكر عن ابن عباس في سبب نزول الآية أن حاطب بن أبي بلتعة أبطأ عنه ماله بالشام فحلف في مجلس من مجالس الأنصار: إن سلم ذلك لأتصدقن منه ولأصلن منه. فلما سلم بخل بذلك فنزلت. قلت: وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان؛

حسب ما يأتي بيانه في أول الممتحنة فما روي عنه غير صحيح. قال أبو عمر: ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم. وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير. قلت: وهذا أشبه بنزول الآية فيهم؛ إلا أن قوله (فأعقبهم نفاقا) يدل على أن الذي عاهد الله لم يكن منافقا من قبل، إلا أن يكون المعنى: زادهم نفاقا ثبتوا عليه إلى الممات، وهو قوله تعالى (إلى يوم يلقونه) على ما يأتي. قوله تعالى (فلما آتاهم من فضله) أي أعطاهم. (بخلوا به) أي بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في الخير، وبالوفاء بما ضمنوا والتزموا. وقد مضى البخل في آل عمران. (وتولوا) أي عن طاعة الله. (وهم معرضون) ⁽¹⁾ أي عن الإسلام، أي مظهرون للإعراض عنه.

قوله تعالى (فأعقبهم نفاقا) مفعولان أي أعقبهم الله تعالى نفاقا في قلوبهم. وقيل: أي أعقبهم البخل نفاقا؛ ولهذا قال (بخلوا به). (إلى يوم يلقونه) في موضع خفض؛ أي يلقون بخلهم، أي جزاء بخلهم؛ كما يقال: أنت تلقي غدا عمك. وقيل (إلى يوم يلقونه) أي يلقون الله. وفي هذا دليل على أنه مات منافقا. وهو يبعد أن يكون المنزل فيه ثعلبة أو حاطب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر: (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ⁽²⁾ وثلعبه وحاطب ممن حضر بدرا وشهداها. (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) كذبهم نقضهم العهد وتركهم الوفاء بما التزموه من ذلك. قوله تعالى (نفاقا) النفاق إذا كان في القلب فهو الكفر. فأما إذا كان في الأعمال فهو معصية.

(1) سورة التوبة ، الآية (76)

(2) صحيح . أخرجه البخاري 3007 و 4274 و مسلم 2494 من حديث علي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) أخرجه البخاري ⁽¹⁾ وقد مضى في (البقرة) اشتقاق هذه الكلمة، فلا معنى لإعادتها.

واختلف الناس في تأويل هذا الحديث؛ فقالت طائفة: إنما ذلك لمن يحدث بحديث يعلم أنه كذب، ويعهد عهداً لا يعتقد الوفاء به، وينتظر الأمانة للخيانة فيها. وتعلقوا بحديث ضعيف الإسناد

وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما خارجين من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما ثقيلان فقال علي: مالي أراكما ثقلين؟ قالا حديثنا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المنافقين (إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا أوّمن خان وإذا وعد أخلف) فقال علي: أفلا سألتماه؟ فقالا: هبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لكنني سأسأله؛ فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، خرج أبو بكر وعمر وهما ثقيلان، ثم ذكر ما قالاه، فقال: (قد حدثتهما ولم أضعه على الوضع الذي وضعاه ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث نفسه أنه يكذب وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف وإذا أوّمن وهو يحدث نفسه أنه يخون) (2) ابن العربي: قد قام الدليل الواضح على أن متعمد هذه الخصال لا يكون كافراً، وإنما يكون كافراً باعتقاد يعود إلى الجهل بالله وصفاته أو تكذيب له تعالى الله وتقديس عن اعتقاد الجاهلين وعن زيغ الزائغين. وقالت طائفة: ذلك مخصوص بالمنافقين زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتعلقوا بما رواه مقاتل بن حيان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس قالا: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه فقلنا: يا رسول الله، إنك قلت (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلي وزعم أنه مؤمن إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أوّمن خان ومن كانت فيه خصلة منهن ففيه ثلث النفاق) فظننا أننا لم نسلم منهن أو من بعضهن ولم يسلم منهن كثير من الناس؛ قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: مالكم ولهن إنما خصصت بهن المنافقين كما خصهم الله في كتابه (3) أما قولي إذا حدث كذب فذلك قوله عز وجل (إذا جاءك المنافقون) (4)

-
- (1) صحيح . أخرجه البخاري 34 و 2459 ، ومسلم 58 ، وأبو داود 4688 ، والترمذي 2632 ، والنسائي 116/8 ، وابن حبان 254 ، وأحمد 189/2 ، 198 من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص
- (2) ضعيف أخرجه الطبراني في الكبير كما في المجمع 108/1 من حديث سلمان الفارسي مع اختلاف يسير فيه وأن الذي لقي أبا بكر وعمر هو سلمان وليس علي ، قال الهيثمي في المجمع 108/1 (415) وفيه أبو النعمان عن أبي وقاص وكلاهما مجهول قاله الترمذي وبقية رجاله موثقون اهـ .
- (3) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ط دار الكتاب العربية . بيروت 1423 هـ - 2003 م (195/8)
- (4) سورة المنافقون ، الآية (1)

(أفأنتم كذلك) ؟ قلنا: لا . قال: (لا عليكم أنتم من ذلك براء وأما قولي إذا وعد أخلف فذلك فيما أنزل الله علي (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) - الآيات الثلاث - (أفأنتم كذلك) ؟ قلنا لا، والله لو عاهدنا الله على شيء أوفينا به. قال: (لا عليكم أنتم من ذلك براء وأما قولي وإذا أوتمن خان فذلك فيما أنزل الله علي (إننا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال)

(فكل إنسان مؤتمن على دينه فالمؤمن يغتسل من الجنابة في السر والعلانية والمنافق لا يفعل ذلك إلا في العلانية أفأنتم كذلك)؟ قلنا لا قال: (لا عليكم أنتم من ذلك براء). وإلى هذا صار كثير من التابعين والأئمة. قالت طائفة: هذا فيمن كان الغالب عليه هذه الخصال. ويظهر من مذهب البخاري وغيره من أهل العلم أن هذه الخلال الذميمة منافق من اتصف بها إلى يوم القيامة. قال ابن العربي: والذي عندي أنه لو غلبت عليه المعاصي ما كان بها كافرا ما لم يؤثر في الاعتقاد.

قال علماؤنا: إن إخوة يوسف عليه السلام عاهدوا أباهم فأخلفوه، وحدثوه فكذبوه، وائتمنهم على يوسف فخانوه وما كانوا منافقين. قال عطاء بن أبي رباح: قد فعل هذه الخلال إخوة يوسف ولم يكونوا منافقين بل كانوا أنبياء. وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: النفاق نفاقان، نفاق الكذب ونفاق العمل؛ فأما نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما نفاق العمل فلا ينقطع إلى يوم القيامة. وروى البخاري عن حذيفة أن النفاق كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان.

الخاتمة

هذه صفات المنافقين في سورة التوبة وليست كل الصفات وبينت آيات كثيرة في القرآن الكريم غير سورة التوبة صفات المنافقين ولازالت تظهر للمنافقين صفات جديدة

وإشارات خفية ومرد بعضهم علي النفاق لإسقاط وإيذاء الصف المسلم وشغله بشقى الفتن والدسائس والأكاذيب عن وجهته في كل عصر وفي كل جيل كما أنها في الوقت ذاته تكشف عن حالة من الخلخلة وعدم التناسق في التكوين العضوي للمجتمع الإسلامي واستمر المنافقون علي حربهم للدعوة الإسلامية حتي جاء النصر الذي وعد الله عباده به وظهر دين الله وشرعه والمنافقون وأشباههم كارهون لذلك لأنهم يكرهون انتصار دين الإسلام ويحبون هزيمته وخذلانه ولكن الله تعالي خيب أمالهم وأحبط مكرهم

وهذا البحث ملخص غاية التلخيص في ذكر صفات المنافقين التي وردت في سورة التوبة ولو توسعت في ذكرها لظال جبل الحديث ولكن هذه بعض الصفات التي ذكرت في السورة الكريمة وأنا أعلم أن هذا البحث لم يوف الموضوع حقه

هذا وأسأل الله تعالي أن يجعل هذا البحث خالصا لوجه الكريم وصلي الله علي سيدنا محمد

الفهارس

- 1- المقدمة ص 2
- 2- المبحث الأول حب الدنيا ص 8

- 3- المبحث الثاني الجبن عن القتال ص 13
- 4- المبحث الثالث الإيذاء ص 20
- 5- المبحث الرابع اختلاق المعاذير ص 25
- 6- المبحث الخامس الحلف كذبا ص 29
- 7- المبحث السادس السخرية من المؤمنين ص 33
- 8- المبحث السابع الخوف من الفضيحة ص 39
- 9- المبحث الثامن المنافقون يوالي بعضهم بعضاً ص 45
- 10- المبحث التاسع عدم الوفاء بالعهد ص 49
- 11- الخاتمة ص 56
- 12- الفهارس ص 57

المصادر

- 1 - التفسير التحليلي 1 جامعة المدينة العالمية 1432 هـ - 2011 م

- 2 - في ظلال القرآن لسيد قطب - دار الشروق 1400هـ - 1980م
- 3- صفوة التفاسير محمد علي الصابوني - دار القرآن بيروت الطبعة السادسة 1405هـ - 1985م
- 4 - أحمد بن حنبل المسند لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1414هـ - 1993م
- 5 - البخاري الصحيح - دار الفكر بيروت لبنان 1414هـ - 1994م
- 6 - البغوي معالم التنزيل في التفسير والتأويل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - دار الفكر 1405هـ - 1985م
- 7 - ابن جرير الطبري جامع البيان لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري تخريج صدقي العطار - دار الفكر بيروت 1415هـ - 195م
- 8 - الإتيقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دار المعرفة بيروت
- 9 - القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار إحياء التراث العربي 1405هـ - 1985م
- 10 - ابن كثير تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار المعرفة بيروت 1406هـ - 1986م
- 11 - صفات المنافقين في سورة التوبة د / غسان عبد السلام حمدون .. شبكة الإنترنت